

المعجمية و المصطلحية

تاريخ اللغة العربية و مميزاتاها

بقلم الأستاذ محمد داود

معهد الترجمة

جامعة أحمد بن بلة وهران 1.

مقدمة حول اللغة العربية

تعد اللغة العربية من أهم اللغات العالمية و أكثرها انتشارا بسبب أن عدد من يستعملونها يفوق تسعة مئة مليون نسمة (عرب و مسلمين).

و قد انتشرت اللغات السامية (نسبة إلى أبناء سام ابن سيدنا نوح عليه السلام) و هم أهل من كان يقطن قديما فيما بين النهرين و بجزيرة العرب و الشام) و هي العربية و السريانية و العبرانية و الفينيقية و الآشورية و البابلية و الحبشية، و قد اندثرت معظم هذه اللغات و لم تبقى منها لغة حية إلا اللغة العربية و العبرانية و السريانية و الحبشية. و للغة العربية جذور من النبطية و هي مزيج من اللغات السامية الجنوبية (اللغة العربية الحميرية : و هي لغة جنوب اليمن، و هي قريبة من اللغة الحبشية) و الشمالية (اللغة العربية المضرية: و هي لغة شمال الحجاز، و هي شديدة الاتصال باللغة العبرية و النبطية)، كما ترتبط بالدين الإسلامي و بخاصة بالقرآن الكريم. و تملك اللغة العربية ثمانية وعشرين (28) حرفا أو تسعة و عشرين حرفا بإضافة الهمزة، و هي لغة ثرية و غنية بالمفردات و المترادفات مثال ذلك:

- ستون ألف (60) مادة معجمية (القاموس المحيط)

- ثمانون ألف (80) مادة معجمية (لسان العرب)

التطور التاريخي للغة العربية:

عرفت اللغة العربية كغيرها من اللغات عدة مراحل تاريخية، و قد مرت من مرحلة الازدهار، أي التمدد و الانتشار إلى مرحلة الانحسار و قد رافقت هذه المراحل جميعها السياقات المختلفة التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية. فكانت البدايات الأولى للغة العربية في بلاد الحجاز و الشام و ما بين النهرين ثم توسع صدى هذه اللغة مع توسع

الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي و انتشرت لدى العديد من الشعوب التي اعتنقت الدين الإسلامي و جعلت من هذه العربية لغة الدين الجديد و من ثم تم استثمارها في الميادين المعرفية المختلفة.

و كغيرها من اللغات مرت اللغة العربية من المرحلة الشفوية إلى مرحلة الكتابة ثم مرحلة التأليف و من ثم إلى التقعيد و توحيد المعايير و وضع المعاجم و التدوين، و هكذا أصبحت اللغة العربية تمثل نظاماً لغوياً متكاملًا (خط، نحو و صرف و معاجم و تراث مكتوب)، بسبب أن الكتابة هي التي تحفظ اللغة و تحفظ التراث من الاندثار و الضياع و تصون اللسان من اللحن و الخطأ، بسبب اختلاط العرب بالشعوب الأخرى أو بالعجم، و قد كان للقرآن الكريم و المعتقد الديني الدور الحاسم في وضع تلك الأسس المعرفية للغة العربية، و في هذه المسألة كل الشعوب تتساوى فتحافظ على تراثه اللغوي و الثقافي و الفكري بتقيد اللغة المتكلم بها.

ويمكن إجمال المراحل التاريخية التي مرت بها اللغة العربية كالتالي:

- مرحلة الجينية للغة العربية:

اختلف الباحثون في تحديد البدايات الأولى لتاريخ اللغة العربية، و لعل أقدم ما يعرف عنها يعود إلى القرن الخامس الميلادي، و قبل ذلك كانت اللغة العربية عبارة عن لهجات تتعدد بتعدد القبائل العربية التي كانت تسكن في الجزيرة العربية و هي تنقسم إلى قسمين: لهجات بائدة، وأهمها ثلاث: الثمودية و الصفوية و اللحيانية. وأما الباقية فمن أشهرها قريش و طيء و هذيل و ثقيف وغيرها. وأفصح اللهجات على الإطلاق لهجة قريش و أما اللهجات الأخرى فقد كانت مليئة بالكلمات الثقيلة على السمع ، و الإبدالات الغريبة التي قد تخلط الكلمة بكلمة مختلفة عنها. و قد لعبت اللقاءات التي كانت تقام كل سنة في سوق عكاظ الذي كان في وادٍ بين مكة المكرمة والطائف دوراً تأسيسياً للغة العربية، بما كان يتميز به من تبادلات تجارية و مناقشات سياسية و تنافس شعري حيث كانت القبائل تأتي لتتفاخر بأنسابها و تنشد الأشعار و لعل ما يقال عن المعلقات الشعرية السبع أو العشر أحسن دليل على تميز هذه الحقبة التاريخية، حيث كانت تكتب تلك الأشعار بلغة قريش.

ارتبطت اللغة العربية تاريخياً في القرن السادس ميلادي بالشعر الجاهلي ولغته، وبالقرآن في القرن السابع ميلادي، ثم دونت النصوص الإسلامية بدءاً من القرن الأول الهجري

ومن الأهمية بمكان أن القرآن أعاد تنظيم اللغة وجمع شتاتها، ثم وقف على حروفها كما هو معلوم من فواتح السور، قال تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا (سورة الشورى ، آية .7)

ولغة قريش هي مزيج بين اللغة الحميرية و المضرية، تكونت نتيجة هجرة القبائل اليمنية الجنوبية بعد حادثة سيل العرم (أي انهيار سد مأرب) وكذلك بسبب اختلاط الناس في مواسم الحج. و قد كانت لغة قريش من أبرز اللهجات و أفصحها من باقي اللهجات العربية، و بها نزل القرآن الكريم. و هي أهم مرحلة تأسيسية للغة العربية حيث عرفت هذه اللغة النضج و التوحيد.

- مرحلة التوسع و الانتشار:

عرفت اللغة العربية بعد مجيء الإسلام و انتشاره في البلاد المجاورة لبلاد الحجاز قفزة نوعية بسبب تبني العديد من أقوام تلك المنطقة للدين الوافد، فكانت اللغة العربية (لغة القرآن) هي اللغة العبادة و الطقوس الدينية و اللغة الرسمية في جميع المبادلات، لكن هذه العوامل و الأسباب لم تمنع العربية من التفتح على الثقافات البلدان الأخرى التي حلت بها، بل بالعكس فقد هضم العرب الحضارات الأخرى و تلاقحوا معها، مما أثرى القاموس العربي. و قد توطدت تلك المكانة بفضل حركة الترجمة و النقل من الثقافات و الفلسفات للشعوب التي دخلت إلى الإسلام (الفرس) أو غيرها من الشعوب التي كانت تملك حضارة قوية آنذاك مثل اليونان و الهند، مما جعل منها لغة السياسة و الإدارة و العلم و الفلسفة و الأدب و العلوم الدينية المختلفة و في فترة الخلافة الأموية و العباسية على وجه الخصوص، حيث تم تأليف و تدوين آلاف الكتب و المراجع في جميع التخصصات، و قد تم جمع التراث العربي من شعر و سير و أنساب في تلك المرحلة، و بسبب الخوف من اللحن في اللغة العربية و بالتالي في فهم القرآن الكريم لجأ الخلفاء إلى حفظ و تدوين كل التراث العربي.

- مرحلة التراجع و الانكماش:

مع بداية سقوط و انهيار الحضارة العربية و الإسلامية في القرن العاشر ميلادي، إثر اكتساح المغول التتار لمدينة بغداد و تدميرهم للكثير من المعالم الحضارية و الثقافية و قد رافق ذلك في الجهة الغربية سقوط الأندلس و استعادتها من قبل الإسبان في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، مما أضعف الحضور السياسي للمسلمين في هذه الجهة التي تشكل بوابة رئيسية للدخول إلى أوروبا. و إثر ذلك دخلت هذه المنطقة العربية و الإسلامية فيما سمي من قبل المؤرخين بعصر الانحطاط التي تلاها الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر الذي قضى أيضا على حيوية هذه المجتمعات و أخضعها لسيطرتة و قام بتجهيل شعوب هذه المنطقة. و هكذا بدأت اللغة العربية تدخل شيئا فشيئا و مع مرور الوقت فيما يشبه الركود و الانكماش بسبب ضعف الإبداع اللغوي و الأدبي و العلمي.

- مرحلة الانتعاش و النهضة:

في بداية القرن التاسع عشر عرفت المنطقة الشرقية و بخاصة في كل من مصر و لبنان حركة ثقافية و فكرية ذات أبعاد إصلاحية و تزامن ذلك مع حملة نابليون على مصر سنة 1798، حيث تم إنشاء العديد من المؤسسات الثقافية مثل الصحافة و الطباعة و دور النشر و المدارس و الجامعات مما دفع بالفاعلين الأساسيين في الحياة الثقافية و الفكرية بالتوجه نحو التراث العربي رغبة منهم في إحيائه و تحقيق مخطوطات و الاعتناء باللغة العربية و جعلها ترافق التحولات السياسية و الاجتماعية و الثقافية السارية آنذاك. و لعل حملة نابليون و ما أحدثته من "صدمة حضارية" دفعت بالعلماء و الأدباء و المفكرين وحتى السياسيين بطرح السؤال عن أسباب التأخر و التخلف و ضرورة الاستفادة من العلوم الغربية و آدابها. و قد أدى هذا التفاعل الشديد بين الثقافات و الحضارات إلى ظهور فنون أدبية جديدة لم تكن لتعرفها اللغة العربية فيما سبق مثل القصة و الرواية و المسرحية. وهكذا دخلت اللغة العربية عصر التحديث و التجديد في الألفاظ و المصطلحات اللغوية والمعاني، تجلت ذلك في بعث حركة الإصلاح الديني و السياسي، ضمن جدلية الحفاظ على الهوية الأصيلة و الانفتاح على الآخرين و تأسيس أدب حديث و معاصر و نشأة المدارس الأدبية الجديدة و رافقت ذلك حركة الترجمة و وضع القواميس.

الثراء المعجمي للغة العربية:

يتبين مما سبق أن اللغة العربية لغة عريقة مرت بعدة مراحل تاريخية، بدأت تتشكل في مرحلتها الجينية في العصر الجاهلي لتتطور و تنتشر في عصر الفتوحات الإسلامية ثم تتراجع بعد سقوط هذه الحضارة و انهيارها و بمرحلة النهضة، و يمكن القول أن هذه اللغة و على الرغم من هذه التحولات السياسية و الفكرية القاهرة- أنها لم تعرف الفناء و الاندثار بل بقيت صامدة بفعل عدة عوامل خارجية عن اللغة و بفعل عوامل داخلية للغة نفسها. سبق لنا و أن تحدثنا عن العوامل الخارجية في ذكرنا للمراحل التاريخية، و سنتطرق للعوامل الخاصة ذاتها، أي ما يميز اللغة العربية. و لعل ما يميز اللغة العربية من ثراء معجمي و لفظي و الترادف الاشتراك و التشابه اللفظي، ظاهرة الأضداد و التقابل،

الترادف: أي التابع أو ركوب أحد خلف الآخر، وفي الاصطلاح يعرف بأنه: اتفاق المعنى واختلاف اللفظ أو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد.

الاشتراك و التشابه اللفظي: الاشتراك في الاصطلاح لا يختلف عن معناه في اللغة و يعني (اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة) وأطلق القدامى على المشترك اللفظي عبارة (ما اتفق لفظه و اختلف معناه) مثلا لفظ العين يحمل عدة معاني، العين التي نرى بها و العين منبع الماء و العين الجاسوس الذي يتلمس أخبار الناس خفية و العين قدرة على الأذى يحدثها العائن الحاسد بمن يصب إليه بصره.

ظاهرة الأضداد و التقابل: التضاد أحد خصائص العربية ؛ وهو نوع من العلاقة بين المعاني ، ربما كانت أقرب إلى ذهن من آية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضدّ هذا المعنى إلى الذهن ، ولاسيما بين الألوان؛ فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني ، فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين متضادين؛ لأنّ استحضار أحدهما في الذهن يستبعد عادة استحضار الآخر.

الاشتقاق اللفظي و أنواعه:الاشتقاق لغة: اشتق الكلمة من الكلمة، أي أخرجها منها، والاشتقاق اصطلاحاً هو أخذ كلمة أو أكثر من كلمة أخرى.وهو أنواع أربعة:

-1- الاشتقاق الصغير:وهو أخذ كلمة من أخرى متفقة معها في ثلاثة أشياء: في أصل المعنى، والحروف، والترتيب. مثل: علم: عالم، عليم، علامة...

-2- الاشتقاق الكبير: هو اشتقاق كلمة من أخرى مع اتفاقهما في المعنى والحروف الأصلية، دون ترتيب.مثل: رجب، بجر، جبر.سلم، ملس، لمس، سمل.. بحر، رحب، حرب، برح، ربح...

-3- الاشتقاق الأكبر:وهو اشتقاق كلمة من أخرى مع اتفاقها في المعنى فقط، مثل: هدل الحمام، وهدر...

-4- الاشتقاق الكبار، وهو النحت:وهو أن تشتق كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر تدل على المعنى نفسه الموجود في الكلمتين أو في الجملة.

مثل: بسمل. منحوتة، أو مدموجة في قولك:بسم الله الرحمن الرحيم.وحمدل. من قولك: الحمد لله.

القدرة على التعريب و الاقتراض اللغوي:

علما أن المفردة العربية الواحدة قد نجدها في أكثر من حقل دلالي واحد.وخلصنا إلى نتيجة مفادها أنه لا مناص من الاحتكام إلى لغة أخرى لسد نقائص اللغة الوصل كلما استدعت الحاجة ذلك، وأن الاقتراض اللغوي مرتبط بالأساس بظاهرة ما يسمى بالهيمنة اللغوية .حيث أنه وكلما كانت الحضارة قوية، كلما استطاعت أن تفرض منطقتها على الآخر. والدليل على ذلك أن اللغة العربية قد تمكنت من الولوج إلى عديد اللغات عندما كانت الحضارة العربية الإسلامية تسطع ببريقها في شتى أنحاء المعمورة. كما أن اللغة - أيا كانت - إذا اضطرت إلى الاستعارة من أخرى، فليس معناه أن هذه اللغة فقيرة أو عاجزة. فاللغات أشبه بالأفراد، فيهم الخبير وفيهم الأكثر خبرة، وبينهم العليم، وبينهم الأكثر علماً، ومعلوم أن الخبير لا يضيره أن يستعير خبرة ممن كان أكثر خبرة منه، كما أنه ليس بعار أن يستعين العالم بعلم من هو أكثر منه

كما أن العرب، في أوج الحضارة العربية، كانوا سادة أهل الأرض في ميدان السياسة والحرب والسلم، وفي ميدان المعرفة والخبرة والعلم، وهذا ما يعترف به الغرب قبل الشرق. كما لا يمكننا أيضاً أن ننكر أن الحضارة العربية (وحتى اللغة العربية) أخذت الكثير من الحضارات (واللغات) اليونانية والفارسية والهندية قبل أن تكون همزة وصل في نقل هذه الحضارات القديمة إلى الحضارة الغربية. مفهوم الاقتراض اللغوي:- لغة: قبل الدخول في تفاصيل الاقتراض اللغوي كظاهرة لغوية

الاقتراض اللغوي يعني اقتراض لغة ما مفردات وألفاظ من غيرها من اللغات الأخر

نشأة معاجم اللغة العربية:

ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وانتشار الإسلام واللغة العربية في أرجاء العالم دخل الكثير من العجم إلى الدول العربية، وبدأوا بتعلم اللغة العربية لفهم الحياة وواقع المجتمع العربي، والأخذ من الثقافة والحضارة العربية، وأدى هذا التداخل إلى وجود الكثير من المصطلحات والمفردات غير المفهومة لديهم، ومع تميّز اللغة العربية بوفرة مفرداتها صار لزاماً وضع المعاجم اللغوية التي تُوضّح المعاني والألفاظ العربية ضمن سياقها في الكلام.

تعريف المعجم:

المعجم لغة: (هو قاموس، كتاب يضم مفردات لغوية مرتبة ترتيباً معيناً وشرحاً لهذه المفردات، أو ذكر ما يقابلها بلغة أخرى)، [٢] أما اصطلاحاً: هو الكتاب الذي يحتوي على شرح المفردات والألفاظ اللغوية وتوضيح معانيها وصفاتها ودلالاتها. [٣] تعود نشأة وتاريخ المعاجم في اللغة العربية إلى نزول القرآن الكريم؛ لضرورة توضيح المفردات والألفاظ اللغوية، ودخول الكثير من غير العرب في الإسلام وتحديدًا في القرن الثاني الهجري، وقد سُمي المعجم بهذا الاسم اشتقاقاً من الفعل (أعجم)، أي بمعنى أزال العجمة، وهناك الكثير من الناس من يستبدلون كلمة المعجم بالقاموس؛ فكلمة القاموس في اللغة تعني البحر، وقد تكون صفة للمعجم ليس أكثر، الأمر الذي استدعى وجوده لتفسير ما يصعب عليهم من مفردات

أنواع المعاجم:

تقسم المعاجم العربية إلى عدة أنواع، هي: [٤] [معاجم المعاني: هي المعاجم التي تحتوي على مواد لغوية بغض النظر عن ترتيب ألفاظها. معاجم الألفاظ: هي المعاجم التي تشرح وتوضّح المعاني والألفاظ والدلالات الخاصة بالألفاظ اللغوية، وتكون مرتبة أبجدياً حسب الأصل الأول أو الأخير للكلمة، أو بحسب الموضوعات، أو حسب المخارج الصوتية العربية. معاجم المُعَرَّب والدخيل: وهي المعاجم التي تحتوي على الألفاظ والمفردات التي أُدخلت إلى اللغة العربية من الأقوام والشعوب الأجنبية، مثل الروم والفرس، وتمّ تعريبها. معاجم الأمثال: وهي المعاجم التي تحتوي على الأمثال العربية وشرحها وتوضيح معانيها ومقاصدها. معاجم المفردات: وهي المعاجم التي تحتوي على المعاني الخاصة بمفردات

القرآن الكريم والسنة النبوية. معاجم المصطلحات العلمية والفنية: هي المعاجم التي تحتوي على شرح وتوضيح المصطلحات الطبية والعلمية والفنية.

أهم معاجم اللغة العربية:

هنالك العديد من المعاجم في اللغة العربية للعديد من المؤلفين الذين اتبع كل منهم نسقاً وترتيباً معيناً يختلف عن الآخر، وفيما يأتي أهم معاجم اللغة العربية ومؤلفيها مقسمة حسب طريقة ترتيبها ونوعها: معاجم الألفاظ: العين للخليل الفراهيدي، وأساس البلاغة للزمخشري، والمحكم لابن سيده، وديوان الأدب للفارابي، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية. [٥] معاجم المعاني: متجر الألفاظ لابن فارس، والمختص لابن سيده، والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام. [٥] معاجم المصطلحات: كتاب التعريفات للجرجاني، والكلبيات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، وقاموس طيبي إنجليزي عربي لخليل خير الله، والمعجم العسكري الموحد للجامعة العربية. [٦] معاجم الأمثال: مجمع الأمثال لأحمد الميداني، والمستقصى للزمخشري، والوسيط في الأمثال للواحدي. [٧] معاجم المفردات: المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الأصفهاني، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي. [٧] تبقى مشكلة واحدة تواجه المعاجم العربية، ألا وهي أن تكون مئمة بجميع المفردات والألفاظ العربية؛ لأن أغلب المعاجم الموجودة حالياً لا تحتوي على كل الألفاظ والمفردات نظراً لاعتمادها على جهد أفراد فقط، وفي ظل ما تواجهه اللغة العربية من تحديات كبيرة في زمن السرعة والعولمة وانتشار الإنجليزية في كل مكان حتى التعليم، يجب تكثيف الجهود للمحافظة عليها بشكل أكبر، والعمل على إنتاج معاجم عربية تعمل على تطوير اللغة العربية والمحافظة عليها

أهمية المعجم في اللغة:

للمعجم العربي فضل ودور كبير في حفظ اللغة العربية، والحفاظ على رونق لغة القرآن الكريم التي تتصف بالبلاغة والإجاز، فعندما تنفذ السبيل في توضيح معاني القرآن الكريم يأتي المعجم كحل مثالي لهذه المعضلة. تتلخص أهمية المعجم العربي في اللغة بما يأتي: [٨] المحافظة على القرآن الكريم، وضمان سهولة الفهم، وضمان صحته بشكل كامل. دمج الألفاظ اللغوية والمفردات مع الشواهد والأمثلة القرآنية والنبوية لضمان استمرارها عبر الزمن. بناء مادة سهلة وميسرة لتعليم اللغة العربية لغير العرب واللذين يريدون تعلمها من الثقافات والشعوب الأخرى حول العالم. الحفاظ على اللغة العربية من الفساد والضياع. توضيح المعاني والمفردات والألفاظ اللغوية الجديدة والغريبة بطريقة تبسطها وتقربها من العقل. توضيح طريقة اللفظ والهجاء لكل من المفردات الواردة فيه. تحديد النوع الصرفي للكلمة سواء كانت اسماً، أم فعلاً، أم حرفاً، والتمييز بين المذكر والمؤنث منها، ونحو ذلك من الأمور الصرفية. توضيح معنى الكلمة والإشارة إلى مجال استخدامها؛ لأن هنالك العديد من الكلمات في اللغة التي تحتل أكثر من معنى.

المراجع:

- 1- كيف نشأت اللغة العربية - موضوع
mawdoo3.com/كيف_نشأت_اللغة_العربية
- 2- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الأول، دار موفم للنشر، الجزائر، 1993.
- 3- تاريخ اللغة العربية - موضوع mawdoo3.com/تاريخ_اللغة_العربية .
- 4- الاشتقاق: تعريفه وأنواعه Alukah –
www.alukah.net/literature_language/0/109788
- 5- الاقتراض اللغوي - إشكاليات واستراتيجيات |
www.asjp.cerist.dz/en/article/115172 ASJP
- 6- أهم معاجم اللغة العربية - موضوع mawdoo3.com/أهم_معاجم_اللغة_العربية .